سلسلة ذخائر التراث الأدبي المغربي (55)

ديوان

أبي الحسن علي بن منصور الشيظمي

(ت 1012 هـ)

بسم الله الرحمان الرحيم

مِـن بَـعـد أهـلِ قُـبـا وأَهـلِ كَـداءِ   شَـوقـي يَـزيـدُ وَمِثل ذَلِكَ دائي

وَلي الشِفـا فـي قُـربِهم وَهُمُ جَلا مـا فـي الخواطِرِ مِن صَدا وَصَدائي

وَنَسـيمُ طيبَـةَ أرضِهِم يا لَو سَرى نَـحـوي لأَطفَـأَ حُـرقَـةَ الأَحشـاءِ

لَو أَنَّهُ جَـرَّ عَـلـى جَـرعـا الحِمـى   وَعَلى العَروض الذَيلَ في الإِسراءِ

لَأَراحَ أَرواحـاً قَـد آفناهـا الهوى   لم يُبـقِ مِنـهـا الحُبُّ غَيرَ ذَمـاءِ

وَتَقَرَّ عيـنـاً بـالعَقيقِ جَرَت عَلى   سُـكّـانِـهِ لَو يَـعـلَـمـونَ بُكـائي

لَكِـنَّهُ بُـعـدُ المـزارِ فَـأَينَ مِـن   تِـلـكَ المَـعـاهِـدِ سـاكِـنُ الحَـمـراءِ

بـانـوا وَهـاجَ الشَـوقَ ذِكرُ رُبوعِهِم   ذاتِ السَـنـا والـنـورِ والأَضـواءِ

وَشَدا بِهِم حادي الرِكابِ فَكمادَ أن تَـدَعَ القُـلـوبُ جُسـومَهـا بفَـضـاءِ

وَتَطـيـرَ قـضـبلَ الـركـبِ للسَكَنِ الَّذي سَـكَـنَ الحِـمـى وَازوَرَّ عَـن إيـمـاءِ

يـا سَـعـدُ لَو أَنَّ الزَمـانَ مُـسـاعِدي وَيُـجـيـبُ مَع ذا البُعدِ بَعضَ نِدائي

لَرَكِـبـتُ حَـرفـاً كَـالـهِـلالِ مُـنـافِـراً   لِلهَـمـزِ إِلّا في المُنادِيَ النائي

وَلَجُـبـتُ أَجـيـابَ الفَـلا وَطَـوَيـتُـهـا   طَـيَّ المُـلا بِـنَـجـيـبَـةٍ قَـوداءِ

شِـمـليـلُ تَـترِكُ بِالفَضـا شَمَلَ الحَصـى

زِيَـمـاً وَشَـمـلُ الوَصـلِ غَـيـرُ نَـسـاءِ

وَإِذا اِستَوَيتُ سَرَت وَأَصبَحَ دونَها ريحُ الشَمالِ وَمَسرحُ النَكباءِ

تَختاضُ في جَوفِ الظَلامِ كَأَنَّها سِرٌّ تَوَلَّجَ في ضَميرِ حِجاءِ

وَتُخالُ في لُجَجِ السَرابِ سَفينَةً تَجري القِلاعُ بِها بِريحِ رُخاءِ

مَهرِيَّةً مَهَرَت وَأَمهَرَ خُفَّها دَركُ الُمنى مُتَداخِلُ الحَصباءِ

تِلكَ المَطِيَّةُ تُمتَطى يا سَعدُ في إِعمالِ زَورَةِ طيبَةَ الغَرّاءِ

فَهَل أَنزِلَنَّ بِها الُمحصَّبَ من مِنىً وَأَزورُ بَعدُ مَعاهِدَ الزَوراءِ

وَأَيّاً كانَ يَزورُ فيها الُمصطَفى روحٌ يُنَبِّئُهُ بِسِرِّ سَماءِ

وَبِهِنَّ قَد أَدى إِلَيهِ رِسالَةً مُتَرَدِّداً بِسَحائِبِ الإِيحاءِ

فَأَحُطَّ عَنها الرَحلَ ثُمَّ مُخَيِّماً في ظِلِّ أَحمَدَ بُغيَتي وَمُنائي

وَأُمَرِّغَ الخَدَّينِ مُلتَثِماً ثَرىً وَطِئَتهُ رِجلا خاتِمِ الأَنبياءِ

والي الذِمامِ مُحَمَّدُ المَبعوثُ مِن غُربٍ يُضافُ لَها حِمى البَطحاءِ

بَطحاءِ مَكَّةَ مِن صَميمِ نِجارِها في الذَروَةِ المَيمونَةِ الغَرّاءِ

الُمصطَفى مِن نَسلِ آدَمَ وَالوَرى في ظُلمَةِ العُدمِ القَديمِ الشاءِ

سِرُّ الوُجودِ وَقُدرَةُ الكَونِ الَّتي شَمَلَت وَأَذَّنَ غَيثُها بِثَراءِ

غَيثُ العَوالِمِ رَحمَةُ اللهِ الَّتي شَمَلَت وَأَذَّنَ غَيثُها بِتَراءِ

مُحيي الهُدى ماحي الضَلالَةِ وَالرَدى بِالبيضِ وَالخطِّيَّةِ السَمراءِ

والمعجِزاتِ اللاتِ أَعجَزَ ذِكرُها ذِكرَ الحَكيمِ مَصاقِعِ البُلَغاءِ

وَعَنَت لَهُ عُربُ البِطاحِ وَأذعَنَت فُصَحاؤُها وَشَقاشِقُ العُرباءِ

صُوَرٌ قَد أَحكَمَت البَلاغَةُ نَظمَها ما إن يُقاسُ بِدُرِّهِ اللَألاءِ

خَصَّ الإِلهُ بِها النَبِيَّ مُحمداً خَيرَ الخَلائِقِ صَفوَةَ الكُرَماءِ

وأمَدَّهُ بالروحِ وَالآيِ الَّتي تَعدادُها يُربي عَلى الإِحصاءِ

صَلّى عَلَيهِ اللَهُ ما نَسَخَ السَخا لُؤماً وَما أَجلى الدُجى ابنث ذُكاءِ

وَعلى صَحابَتِهِ الكِرامِ وَآلِهِ أَكرِم بِهِم مِن سادةٍ فُضَلاءِ

وَأَكرِم بِوارِثِ مَجدِهِ وَعَلائِهِ سِبطِ الرِسالَةِ عِزَّةِ الأَبناءِ

المُنتَقى مِن جَوهَرِ الشَرَفِ الَّذي نافَت نَفاسَتُهُ عَنِ الأَكفاءِ

خَيرُ الخَلائِفِ أَحمَدُ المَنصورُ مَن حازَ الكَمالَ وَشَوطُ كُلِّ عَلاءِ

وَسَما بِهِ المَجدُ الرَفيعُ وَزانَهُ بِمَناقِبٍ أَربَت عَلى الإِملاءِ

أَحضى بِها فَلَكُ العَلاءِ مُدَبَّجاً بِسَما يَفوقُ كَواكِبَ الخَضراءِ

وَغَدا بِهِ المَولى الإِمامُ مُخيِّماً فَوقَ الدَراري في سَنىً وَبَهاءِ

مَلِكٌ إِذا استَبَقَ المُلوكُ إِلى مَدىً حازَ الخِصالَ دُوَينَها بِوَفاءِ

وَإِذا الزَمانُ عَدا وَجارَ أَجارَ مِن   أَحداثِهِ وَكَفى عِدى اللَأواءِ

فَيَردُّها بِالرَغمِ تَركَبُ رَدعَها   بِشَهامَةٍ وَنَباهَةٍ وَدَهاءِ

طَلّابُ غاياتِ العُلى نَيّالُها   كَشّافُ كُلِّ عَظيمَةٍ دَهياءِ

ماضي الصَريمَةِ وَالصَوارِمُ شاغِلٌ   بِالرُعبِ أُسدَ الغابِ عَن إِجراءِ

مَن لا يَزالُ المُلكُ يُلفي عِندَهُ   ما شاءَ مِن نُجحٍ وَمِن آراءِ

الصارِمُ الهِندِيُّ في يُمنِ الهُدى   وَالكَوكَبُ الوَضّاءُ في الظَلماءِ

وَالمُرسِلُ النَقعَ المُصَعَّدَ في الوَغى   سَيحاً وَصَيِّبُهُ دَمُ الأَعداءِ

قَد عَوَّدَ المَنصورُ مِنهُ سُيوفَهُ   وَرِماحَهُ أَيّاً يَفي بِجَناءِ

لَكِن جَنى فَتحٍ كَمِثلِ المُجتَنى   بِالقَصرِ أَو بِالنَيلِ دونَ إِباءِ

فَالقَصرُ جَرَّ لِقَيصَرَ الحَتفَ الَّذي   أَبقاهُ مُنقَطِعِ العُرى بِعَراءِ

قَد جَدَّلَتهُ ظُبى الإِمامِ وَغادَرَت   مَن مَعهُ بَينَ مُصَرَّعٍ وَسِباءِ

وَالنَيلُ نالَ بِهِ الخَليفَةُ فَتحَ ما   قَد كانَ قَبلُ أَصَمَّ في عَمياءِ

مِن كورَةٍ عَبَدَ العَبابيدُ الهَوى   فيها وَلَمّا يَعدِلوا بِهَواءِ

وَاِستَأسَدَ العَدوى بِها وَاِستَنسَرَت   فيها البُغاثُ قَديمَةُ الأَخطاءِ

حَتّى أَتَتهُم عَزمَةٌ عَلَوِيَّةٌ   كَالنَجمِ لا تَلوي عَلى مَتناءِ

فَرَمَت مُشاجيها بِرَجمٍ كانَ في أَحشا صَواعِقَ دُبِّرت لِبَلاءِ

وَنَضى عَلى السودانِ بيضاً عُوِّدَت

إِن صالت آن تُجلي الصَدا بِدماءِ

فَاستَأصَلَت حِزبَ البُغاةِ وَطَهَّرَت أَرضَ الجَنوبِ مِنِ احتِماءِ إِذاءِ

هِيَ عَزمَةٌ بَرَتِ العِدا فَقُلوبُهُم في غايَةِ الإِيجافِ وَالإِضناءِ

نَفَذَت مَقاتِلَهُم بِرَأيٍ مُؤَيَدٍ قَبلَ الوَغى وَتطاعُنِ الأُكماءِ

قَد صارَ فَتحُ بِلادِهِم مِفتاحَ ما لَم يَفتَحِ المَنصورُ مِن أَرجاءِ

كَم مومِنٍ قَد أَبهَجَتهُ وَكافِرٍ تَركَتهُ مَطوِيّاً عَلى الضَرّاءِ

يا أَيُّها المَلِكُ الَّذي بِسُيوفِهِ حاطَ الهُدى وَبِرَأيِهِ الوَضاءِ

وَقَضى لَهُ السَعدُ المُقيمُ عَلى العِدى أَن يَملِكَ القُربى مَعَ البُعداءِ

ذَخَرَ الإِلَهُ لَكَ الفُتوحَ وَصانَها كَالزَهرِ في الأَكمامِ وَالأَوعاءِ

فَاضرِب بِسَيفِكَ ذي الفَقارِ طُلى العِدى

فَالسَعدُ يَفصِلُ بِالضَمانِ قَضائي

لا بُدَّ مِن فَتحٍ يَروقُكَ واضِحٍ كَالصُبحِ بَدرِيٍّ النِجارِ كَدائي

وَسَتَملِكُ الحَرَمَ الشَريفَ وَيَنتَمي لِلِوائِكَ المَنصورِ دونَ مِراءِ

وَثَـرى الجِـهاتِ وَقَد أَتَت مُنقـادَةً   بِظُبـى بَنيـكَ السادَةِ النُجَباءِ

وَقَـقَـرَّ عَـينـاً بِـالخِـلافَـةِ مِـنـهُـمُ   وَزَرُ البَـرِيَّـةِ عِـزَّةُ الأُمَـراءِ

بِمُـحـمَّدِ المامـونِ خيـرِ مَـن اِرتَقى   دَرَجَ الكَـمـالِ وَدَبَّ لِلعَـليـاءِ

فَرعٌ سَيَحكي أَصلَهُ وَلَقَد حَكى   لِمَقـاصِـدٍ قَـد سُـدَّدَت لِرِمـاءِ

وَشَـهـامَـةٍ وَحَـزامَـةٍ وَرَزانَـةٍ   تَـصِـفُ الجِـبـالَ وَعِفَّةٍ وَوَفـاءِ

أَوقَـفـتَ آمـالَ الوَرى مِنـهُ عَلى   مَـلِكٍ أَغَـرَّ مُـمَـلّأً بِـذَكـاءِ

لا زِلتَ مَـسـروراً بِهِم وَمُـمَـتَّعـاً   وَالكُـلُّ مِـنـكَ مُـمَتَّعٌ بِـرَضـاءِ

وَلَيَهنِـكَ العيـدُ الَّذي عـادت بِهِ   لَكُمُ السَعـادَةُ في بِساطِ هَناءِ

شَـرَّفتَ مِنـهُ صَبـاحَ مَولِدِ جَدِّكُم   وَأَذَعتَ فيـهِ عَبيـرَ كُلِّ ثَناءِ

فَـأتـى بَديعاً في الوُجودِ زَمانُهُ   وَأَفـادَ ابـنَ ذُكـاءِ آيُ رُواءِ

وَأَتـى بِـهِ عَلَمُ الصَبـاحِ مُحاكِياً   لِلوائِكَ المَنصورِ في الهَيجاءِ

وَلَويـتَ فـيـهِ عَـبّـاسِ الدُجـى   وَكَـفَـيتَ نـاظِـرَهُ عَنِ الأَضـواءِ

فَـأَتَيتُ فيـهِ مُغَـرِّداً بِثَنـائِكُم   وَقَد أَنطَقَتني ذِروَةُ النَعماءِ

وَبِهـا شَعَرتُ وَلَستُ قَبلُ بِشاعِرٍ   وَالبَذلُ يُنطِقُ أَلسُنَ الشُعَراءِ

وَبِكُم مَسـاعِيَ أَصبَحَت مَقرونَةً   بِسَعـادَةٍ تُدني المُنى وَنَماء   ي

وَبِكُم لَنا لأنَ القَريضُ وَقَد غدا   عَبداً يُجيبُ مَتى دَعَوتُ نِدائي

وَبِمَدحِكُم يا اِبنَ النَبِيِّ جَرى لَنا   حُكمٌ عَلى مَدحِ الفَصيحِ الطائي

دُمتُم وَدامَ النَصرُ يَخدُمُ مُلكَكُم   ما دامَ طَودُ يَلَملَمٍ وَحِراءِ

وَبَقيتَ تَجني الفَتحَ مِن أَرضِ العِدى   ما هَزَّ غُصنَ البانِ ريحُ صَباءِ

وَتَطارَحَ القُمرِيُّ أَلحاناً عَلى   دَوحٍ فَراقَ بِنَغمَةِ الوَرقاءِ

أَثخَنَهُم يَومَ وَبلٍ أَلما فَلَم يَجِدوا   مِـن بَـأسِـهِ نَـفـقـاً يُنجي وَلا سَبَبا

لِلَه إِقـدامُـهُ المَـشـهـورُ حـينَ سَطا   بِـهِـم وَقَـد رُجِـمـوا مِـن سـاطِـسٍ شَغَبا

وَهـالَ هَـولَ بُغاةٍ في الكُدى اِصعَّدت

إِذا أَرسَلَ الجوُّ مِن أَحجارِهِم سُحُبا

وَالجَـيـشُ قَـد جـاشَ وَارتَـجَّت جَوانِبُهُ

وَهالُهُ الخَطبُ وَسطَ الشِعبِ فَاِضطَرَبا

ثُـمَّ تَـقَـدَّمَ كَـالـلَيـثِ الـهِـزَبـرِ وَقَـد هــاجَـت حَـفـيـظَـتُـهُ وَأَرعَـدَت غَـضَـبـا

فَـرَدَّ فَـرداً صُـروفَ الـدَهـرِ مُـرغَـمَـةً لِـحـيـنِ مـا صَـرَفَـت أَنـيـابَـها نُوَبا

وَأَغـارُ إِذ حَـثَّ الظَـلامُ جَنـاحَـهُ   لِيُـكِـنَّ مَـن أَلِفَ اللِقـا بِغَياهِبِهِ

فانقَضَّ مِن أُفقِ القَطيعَةِ وَانثَنى   وَمَشـى غُرابُ الدَجنِ بَينَ مَخالِبِهِ

وَغَـدا بِـهِ شَـمـلُ الوِصـالِ مُـصَرَّماً وَعَدا عَلى قَلبِ المَشوقِ فَطارَ بِهِ

وَكَذاكَ مـا حَـمِـدَ اللِقاءَ مُتَيَّمٌ   أَرخـى عَلَيهِ اللَيلُ سِترَ غَياهِبِهِ

إِلّا وَقَـد كَشَـرَ الظَـلامُ لِوَجهِهِ   وَأَبـانَ عَـن أَنيـابِهِ وَنَـوائِبِـهِ

لا يَـحـمَـدُ الصَـبُّ الصَبـاحَ لِأَنَّهُ   كَـالشَـيبِ يَفتَضِحُ الصِبا بِمَثاقِبِهِ

فَـاللَيـلُ لَونُ شَـبـابِهِ وَسَـوادِهِ   مِـنـهُ يَوَدُّ القَلبُ فَاقضِ لِذاكَ بِهِ

إِن شِئتَ تاريخ إِكمالِ البَديعِ فَقُل   إيوانُ أَحمَدَ إيوانُ السَعاداتِ

اكتَنَفَ الحُسنُ مَحَلّي وَلاح   تاريخُهُ مِن لَفظٍ هُوَ المُستراح

وافـى كَمـا طَلَعَ الإِصبـاح تَـأييـدُ لكِن سُرى لَيـلِهِ مَع ذاك مَـحمودُ

وَكَيـفَ لا وَهـوَ فـي مَسـراهُ سارَ عَلى هَـدي لِأحمَـدَ لا يَـعدوهُ تَسـديـدُ

مَلكٌ شَفـا الدينَ مِن أَدوائِه وَكَفى داءً مِنَ الجَوفِ فيهِ الكُفرُ مَعبودُ

كَذا شَفا الصَدرَ مِن داءِ الجَنوبِ وَلَم   يَدَع بِـهِ أُسـوداً تَعنو لَهُ السودُ

قَـومٌ طَعامٌ عَلى الجَهلِ المركَّبِ قَد نَشَوا وَدامَ لَهُم في البَغي تَمريدُ

وَاستَبـدَلوا الغَـيَّ بِـالرُشـدِ فَفاتَهُمُ رِبحٌ وَنُجحٌ وَتَـوفيقٌ وَتَرشيدُ

مـا زالَ مِنهُم عَلى وَجهِ العُلى كَلِفٌ حَتّى اِغتدى وَهوَ بِالمَنصورِ مَحمودُ

وَطـالَمـا عَبَـدوا الأَهـوا وَزاغَ بِهِم   عَنِ اتِّبـاعِ الهُـدى جَهلٌ وَتَقليدُ

فَـقـامَ بِـالجِدِّ لا يَلوي عَلى أَحَدٍ وَكانَ مِنـهُ لشَملِ البغيِ تَبديدُ

وَجَـدَّ مِـنـهُ لِتَمهيـدِ الهُدى مَلِكٌ   أَغَـرُّ أَبـلَجُ بِـالتَأييـدِ مَـمدودُ

مُـسَـدَّدَ الرَأيِ مَنصـورُ اللِوا أَسَدٌ

شاكي السِلاحِ حَليفُ اليُمنِ مَجدودُ

فَرعُ الرِسالَةِ مُحيي الدينِ ناصِرُهُ ال

مَنصورُ مَن لَم يَجُز عُلاهُ مَوجودُ

مُمَهِّدٌ بـالقَنـا وَالبيـضِ ما عَجَزَت عَنـهُ الأَئِمَّةُ وَالشُمُّ الصَنـاديدُ

مُفَتَّحٌ مِن بِلادِ السودِ ما بَعُدَت دِيـارُهُ وَتَـبَـدَّت دونَـهُ بـيـدُ

وَلا تَحومُ الغَواني إِثماً هُناكَ وَقَد تَلقى ابنَ دايَةَ فيها وَهوَ مَجهودُ

أَبعِد بِها مِن قِفارٍ لَيسَ يَسكُنُها إِلّا سَعالي لَها فيهِنَّ تَرديدُ

وَلا يَجوبُ فَلاها الصَعبَ مُرتَحِلٌ

ما لَم تَكُن تَحتَهُ وَجناءُ قَيدودُ

تِلكَ القِفارُ الَّتي شَقَّ المُرورُ بِها وَلَم يُفِد مَعَها الرُكبانَ تَزويدُ

رامَ الخَليفَةُ غَزواً وَالمجازَ بِها لِلجَيشِ فَاجتازَ عَنها وَهوَ مَعمودُ

رَمى بِهِ عَن قِسِّي الرَأيِ موتِرَةٌ

بِالعَزمِ سوداً بِسَهمِ الحَقِّ قَد صيدوا

فَصادَفَ العَرضَ المقصودَ مِن بَعدُ مِن

هُمُ فَلا عَبدَ إِلّا وَهوَ مَعبودُ

سَهمٌ مِنَ العَربِ قضد أَصمى الأَساوِدَ إِذ

صَمّوا وَهُم حَيثُ بَحرُ النَيلِ مَورودُ

وَقَد دَعاهُم إِلى الرُشدِ الإِمامُ فَلَم

يُصغوا وَهَل تَقبَلُ الرُشدَ الجَلاميدُ

وَحـيـنَ صَـمّـوا عَـنِ الإِنـذارِ أَسـمَـعَـهُـم

صَـواعِـقـاً بِـنَـداهـا المَـوتُ مَـعـقـودُ

تَـراهُ يَـنـفُـثُ مِـن أَفـواهِـهـا بَـرَداً

يَـنـقَـضُّ حَـيـثُ فُـؤادُ الـقَـرنِ مَـرصـودُ

مَـدافِـعُ أَبـطَـلَـت لِلسـودِ حِـكـمَـتَـهـا   فَـلَـم يُـفِـد مَـعَـهـا نَـفـثٌ وَتَـعـقـيـدُ

وَمـا اسـتَـقـامـوا إِلـى أَن جُـرِّدَت لَـهُـمُ

بيـضٌ وَأُشـرِعَـتِ الـسُـمـرُ الأَمـاليـدُ

وَجـاسَـت أَيـضـاً عَـلـى رَغـمِ أُنـوفِـهِـمُ

خِـلالَ مـا سَـكَّـنـوهُ ضُـمَّـرٌ قـودُ

قَـد رَكِـبَـتـهـا كُـمـاةٌ إِن لَـقـيـتَـهُـمُ   فـي الـحَـربِ تَـلـقـاكَ أَبـطـالٌ مَـنـاجـيـدُ

مِـمَّـن يَـرى المَـوتَ فـي الـهَـيـجـاءِ مَـكـرُمَـةً

وَإِنَّ قـانـي نَـجـيـعِ الـحَـربِ قِـنـديـدُ

وَيَـبـذُلَـن فـي رِضـى المَـنـصـورِ مُـهـجَـتَـهُ وَإِن تَـنـاهـى إِلَـيـهـا الـفَـضـلُ وَالـجـودُ

كَـجُـؤذُرٍ نَـشـأَةِ المَـنـصـورِ مُـبـتَـكِـرِ ال فَـتـحِ الَّـذي كـانَ فـيـهِ قَـبـلُ تَـعـبـيـدُ

وَصـارِمِ المَـلـكِ مَـحـمـودِ الَّـذي شَـرَحَ ال فَـتـحَ وَزيـدَ بِـهِ مِـن بَـعـدُ تَـوطـيـدُ

مَن مَهَّدَ القُطرَ وَارتاعَت لسَطوَتِه

الس سودُ وغادَرَ سُكيا وَهوَ مَطهودُ

وَأَنفُ عِزَّتِهِ بالبيض مُجتَذَعٌ وَسودُهُ بَعدُ في الدُنيا عَباديدُ

رامَ النَجاةَ وَهَيهاتَ وَقَد أُخِذَت عَلَيهِ في البَرِّ وَالبَحرِ المَراصيدُ

وَالأَمرُ لِلَهِ لا يَنجو مُحارِبُهُ وَلَو يَكونُ لَهُ لِلشُهبِ تَصعيدُ

لِغَيرِهِ مِن فَتوحِ الأَرضِ فَانتَهِضنَ لَها فَإِنَّكَ بِالتَأييدِ مَوعودُ

وَذا أَوانُ التَهاني بِالفُتوحِ وَقَد جِئتُ بِها غَرِداً إِذ راقَ تَغريدُ

وَمَن يَحِد أَو يَرُم لِلأَمرِ غَيرُكُمُ فَذاك قَد فاتَهُ رُشدٌ وَتَرشيدُ

وَاضرِب بِسَيفِك مَن ناواك إِنَّ لَكُم عَلى العُداة بِحَولِ اللَهِ تَأييدُ

مَن كُلَّ مَن خالَفَ الأَمرَ العَلِيَّ هَوى وَلَم يُفِد فيهِ إِبعادٌ وَتَهديدُ

مُكَتَّبٌ مِنهُمُ لِلحَربِ لَو نَفَعوا ما لا يُحيطُ بِهِ وَصفٌ وَتَعديدُ

أَما دَرَوا أَنَّ هَذا الأَمرَ لَيسَ لَهُ إِلّا قُرَيشٌ وَفيها السِرُّ مَقصودُ

وَأَنَّ سِرَّ الجَميعِ اليَومَ جَمَّعَهُ مَلكٌ لَهُ في مَراقي المَجدِ تَفريدُ

خَيرُ مُلوكِ الوَرى المَنصورُ مَن صَدَقَت

عَن جَدِّهِ المُصطفى فيه الأَسانيدُ

فَهوَ الَّذي جَدَّدَ الدينَ وَشَيَّدَهُ فَجاءَ طِبقَ الحَديثِ مِنهُ تَجديدُ

يا ابنَ النَبِيِّ هَنيئاً إِنَّ سَعدَكَ قَد أَغنى وَصارَ لَهُ في الأَرضِ تَمهيدُ

لا زالَ أَمرُكَ بِالتَأييدِ مُقتَرِناً ما تاهَت أَو جَرَّرَت أَذيالَها الغيدُ

وَدُمتَ تَجني ثِمارَ الفَتحِ يانِعَةً مِن أَرضِ كُلِّ عَدُوٍّ وَهوَ مَصفودُ

أَهـلِ الزَمـانُ بِـوصـلِ لَيـلى مُـسعِدي وَهَـل التَقـي لَيلاً بِها في مَشهَدِ

وَأَبيتُ فيهِ مُقَبِّلاً في حِجرِها   خالاً لدى حَجَرٍ هُنالِكَ أَسوَدِ

وَتَبَرَّجَت تَسبي الوُجودَ بِزينَةٍ   وَتَيدُ لُبَّ الناسِكِ المُتعَبِّدِ

مَن إذا تَجَلَّت في مَشاهِدِ قُدسِها أَجلَت هُمومَ شُهودِ ذاكَ المَعهَدِ

مَن لي بِها وَقَد أَسفَرَت في لَيلَةٍ يُزري دُجاها في العيونِ بِإِثمِدِ

تِلكَ اللُيَيلَةُ ما لَها أُختٌ سِوى   أُخرى بِطيبَةَ أُختِها في القُعدُدِ

فَهَل أَركَبَنَّ لَها المَطِيَّ عَشِيَّةً   وَأَروحُ مَشمولاً بِبُردِ الأَبرَدِ

وَاللَيلُ يَسحَبُ مُقبِلاً ديباجَهُ وَالشَمسُ تَرفُلُ في حُلىً مِن عَسجَدِ

وَالعيسُ تَخفُقُ للرَواحِ خَفِيَّةً   أَخفافَها في الطَي طَيِّ الافَدفَدِ

وَيَسوقُها تَذكارُ مَن سَكَن الحِمى   وَثوى بِطيبَةَ أَو بَقيعِ الغَرقَدِ

تِلكَ المَعاهِدُ هَل أُراني نَحوَها   أصِلُ السُرى وَالسَيرَ سَيرَ المُسأَدِ

وَهلَ أَغتَدي وَالصُبحُ مِن كَحَلِ الدُجى راءٍ وعَينُ الشَمسِ مُقلَةُ أَرمَدِ

وَاللَيلُ مِن أُفقِ المَشارِقِ قَد طَوى   راياتِهِ بَعدَ انتِشارِ الأَبنُدِ

وَالنَجمُ مَسلوبُ السَنا وَقَدِ انطَفى طَفَأَ الشَرارِ عَلى ثِقابَةِ مَوئِدِ

شِمليلُ تَترُكُ بِالفَضا شَملَ الحَصا بِدَداً وَشَملُ الوَصلِ غَيرُ مُبَدَّدِ

يا هَل أَبيدُ بوحدِها البَيدا إِلى أَن أَبلُغَ الأَرضَ المُطَيَّبَةَ النَدي

فَأَحُطَّ عَنها في المَقاعِدِ رَحلَها وَأَزورَ بِالزَوراءِ قَبرَ مُحَمَّدِ

خَيرِ البَرِيَّةِ خاتِمِ الرُسلِ الَّذي فاقَ الأَوادِمَ في النَدى وَالسُؤدَدِ

تِلكَ المَعالي وَالعَوالي كُلُّها مِن دونِها في قُربِها المُتَفَرِّدِ

فاقَت عَلى السَبعِ الطِباقِ وخيَّمَت

في حَضرَةِ القُدسِ القَديمِ السَرمَدي

وَاسأَل بِهِ آيَ الكِتابِ فَقَد حَوَت مِن سُؤدَدِ المُحتارِ ما لَم يُجحَدِ

فَالقَدرُ أَعظَمُ وَالمَقامُ أَجَلُّ مِن أَن يُهتَدى لِثَنائِهِ بِتَعَدُّدِ

فهُوَ النَبِيُّ المُستَجارُ بِظِلِّهِ في الحَشرِ مِن هَولٍ هُنالِكَ مُرعِدِ

هَولٍ يَهيلُ الرُسلَ لَكِن يَنجَلي بِشَفاعَةِ المُختارِ أَفضَلِ مُنجِدِ

غَيثِ العَوالِمِ رَحمَةِ اللَهِ الَّتي شَمَلَت مَواهِبُها وَلَمّا تَنفَدِ

فَحَمى بِآيَتِهِ وَحَدِّ حُسامِهِ شُبَهَ المُعارِضِ أَو وَردَ المُلحِدِ

فَاسأَل بِهِ بَدرَ الَّذي ابتَدَرَ العِدى فيهِ الرَدى مِن بَأسِهِ المُتَأَسِّدِ

وَاسأَل بِهِ أُحُداً وَهَل أَغنى بِهِ أَحَدٌ خَفاهُ بِخَطبِهِ المُتَمَرِّدِ

أَحنَت عَلى كِسرى وَقَيصَرَ بَعدَ أَن ثُلَّت عُروشُهُما كَأَن لَم تُعهَدِ

أَبدَت لَهـا مِـن غَـيضِ مـاءِ بُحَـيرَةٍ وَخُـمـودِ نـارٍ قَبلَهـا لَم تُـخـمَـدِ
صُبـحٌ قَـد أَصـبَـحَ بِـالمُهَيمِنِ غُرَّةً لِلدَهـرِ فَـاِقـدُر قَـدرَ ذَلِكَ وَأَحمَدِ
وَاِشـكُـر لِمَـلكٍ أَصـبَـحَ مُـشـهِـراً ذاكَ الصَـبـاحَ مُـعَـظَّماً لِلمَـولِدِ
حَـلّى النَـبِـيَّ بِـهِ وَلَم يَتـرُك لَهُ حَـقّاً وَلَم لا وَهـوَ فَـرعُ المَحتِدِ
خَيـرُ الخَـلائِفِ أَحـمَدُ بنُ مُحمَّدِ ال مَهدي الإِمامُ اِبنُ الإِمامِ مُحَمَّدِ
القائِمُ الهادي الَّذي أَبدى الهُدى بِـالغَـربِ شَـمـسـاً بَـعـدَ جِـدٍّ مُجهَدِ
حِـزبُ الإِمـامِ الطَودُ مَنصورِ اللِوى السَـيِّدُ اِبـنُ السَـيِّدِ اِبنِ السَيِّدِ
وَقَـضَـت لَهُـم أَسـيـافُهُـم وَصِـعـادُهُـم أَن يَصعَدوا فَوقَ السَماءِ الأَبعَدِ
تَـلقـى بِـهِـم أُسـداً ظِـمـاءً مـالَهـا يَومَ اللِقا إِلّا الدِما مِن مَورِدِ
وَتُـركـيَ مِـنـهُـم فـي النَوالِ أَكُفُّهُم فَـيضَ البِحـارِ أَوِ الحَـيا المُتَبَدِّدِ
هُـم وَطَّـدوا المَـجدَ المُؤَثَّلَ فَـاِرتَقى بِـعِـمـادِهِ المَـنصورُ فَوقَ الفَرقَدِ
بِـخَـليـفَـةٍ أَعـيـى المُلوكَ عَـلاؤُهُ إِذا لَم تَـجِـد لِمَنناله مِن مِصعَدِ
أَنّـى لَهـا بِـمُـؤَيَّدٍ قَـد مَـدَّهُ رَبُّ السَـمـاءِ بِـأَسـعُـدٍ وَتَـأَيُّدِ
رَأيٌ إِذا مـا عَـنـهُ جَهَّزَ رايَـةً أَغـنـاهُ عَـن جُـنـدٍ عَـلَيـهِ مُـجَنَّدِ
لَكِـنَّهُ مُـسـتَـصـحَـبٌ بِـسَـعـادَةٍ تَـقـضـي بِـتَـمـليكِ الأَبِيِّ الأَبعَدِ

وَعَزيمَةٍ أَبقَت طَغامَ السودِ في آيِ انقِيادِ لِأَمرِهِ المُستَرشِدِ

وَغَدَوا بِها ما بَينَ نَفسٍ مُرَوَّعٍ وَمُجدَّلٍ وَمُشَرَّدٍ وَمُقَيَّدِ

هِيَ عَزمَةٌ قَد أَنقَتِ الأَمرَ العَلِيَ من الأذى وَسَوادِ مُلكِ الأَعبُدِ

شامَت بَوارِقُها القَتامَ وَأَرعَدَت هِنداً مَعَ السِندِ البَعيدِ بِأَرعُدِ

وَقُبيلَهُم تَرَكَت عَساكِرَ قَيصَرٍ بِالقَصرِ هَلكى كَالرَمادِ الأَرمَدِ

بِمَخازِنٍ تَلقى الرُؤوسُ بِهِ الظَبيَ فَتَخِرُّ ساجِدَةً لِهَيبَةِ أَحمَدِ

ثَبتُ المَواقِفِ قَد رَسا لِلحِلمِ مِن عَلياهُ طَودٌ أَيُ طَودٍ أَطوَدِ

وَيُريكَ بَحراً في المَعارِفِ زاخِراً عَمّا تَشا فَاسأَل تَفُز بِالمَقصَدِ

يَقِظٌ يُواري الغَيبُ عَنهُ حَقائِقاً فَيَرى بِعَينِ الأَلمَعِيِّ المُتَوَقِّدِ

ظَفِرَت يَدُ الإِسلامِ مِنهُ بِصارِمٍ حَسَنِ الرُوا ماضي الغِرارِ مُهَنَّدِ

أَخَليفَةَ اللَهِ عَلى المَحافِلِ رُتبَةٌ لِلمَلكِ كالبَدرِ المُنيرِ الأَصعَدِ

وَسَناكَ قَد بَهَرَ العُقولَ وَسَرَّها مَرآكَ في هَذا المَقامِ الأَسعَدِ

مَلَكَت مَحَبَّتُكَ القُلوبَ وَقادَها إِحسانُكُم يا اِبنَ النَبِيِّ بِمِقوَدِ

وغَرستَهُ فيها فَأَثمَرَ بِالثَنا وَجَنَيتَهُ حُلوَ المَذاقِ بِمِذوَدِ

وَبِهِ أَتَيتُ مُغَرِّداً كالطَيرِ إِذ قامَت أَياديكُم لَنا كَالأَملُدِ

يَهنيكَ بالعيدِ الَّذي عادَت لَكُم فيهِ المَسَرَّةُ بِالثَواب المُخلَدِ

وَبِكُم يُهنّى العيدُ لَو يَدري فَقَد صُغتُم لأُهبَتِهِ حُلىً لَم تُعهَدِ

لا زِلتَ زينَةَ كُلِّ عيدٍ وَالعِدى حَصَدٌ لسَيفِكَ ذي الفَقارِ الأَربَدِ

وَبَقيتَ مَنصوراً بِرَبِّكَ غالِباً يا خَيرَ مَنصورٍ بِهِ وَمُؤَيَّدِ.

زارَت فـأَزرت بـالغزالَةِ مَنظَرا وَمَشَت فَـأَخـجَلَتِ الغُصونَ تَأَطُرّا

وَسَمَت بقَدٍّ قَد تَجانَبَ خَصرَهُ رِدفانِ قارَبَ مِنهُما أَن يُبتَرا

وَسَقَى الصبا منها قِواماً دونَهُ غُصنُ النَقا فلِذا بنَهدٍ أثمَرا

وَتَبَسَّمَت عَن لُؤلُؤٍ بِخِلالِهِ ما خِلتُهُ الياقوتَ ذاكَ الأَحمَرا

في جُنحِ لَيلٍ قَد جَلَتهُ بِثَغرِها داجٍ يُحاكي شَعرَها المُتَحَدِّرا

فَحَسِبتُ بَرقاً مِن قِرابِ دُجُنَّةٍ أَنضَتهُ سُحبٌ أَو صَباحاً أَسفَرا

بَرقٌ وَأَينَ البَرقُ مِن ثَغرٍ حَوى بَرداً وَدُرّاً أَو أَقاحاً نُوَّرا

قَد عَلَّهُ شَنَبٌ هُناكَ رَحيقُهُ ما بَينَ نُعمانِ اللَثاثِ فَأَزهَرا

وَلَقَد تَأَلَّقَ مُرهَفاً فَأَبانَ عَن لَيلٍ عَلى صُبحِ الجَبينِ قَد أَهدَرا

صُبحٌ بِلَيلِ الشَعرِ مَحفوفٌ وَما آنَ لَهُ وَلِصُبحِهِ أَن يَقصُرا

وَدَنَت بِخدٍّ مورَدٍ جَمَعَت بِهِ شَفَقاً وَإِبريزاً وَصُبحاً أَفجَرا

وَجَلَت لِثاماً عَن مُحَيّا خِلتُهُ شَمساً تَبَدَّت مِن سَحابٍ خَمَّرا

وَرَنَت كَما لَحَظَ الغَزالُ فَغادَرَت أَحشاءَنا نَهباً لِطَرفٍ أَحوَرا

حاوٍ لِما تَحوي الجُفونُ وَهُدبُها نَبلاً وَعَضباً مَع سِنانٍ أَسمَرا

تَحكي بِذاكَ عَتادَ مَنصورِ اللِوا بِالقَصرِ إِذ أَفنَت عَساكِرَ قَيصَرا

مَـرَّت بِنـا فـي سِـربِهـا فَـاِسـتَوقَفَت وَحَـلا لَهـا ذِكـرُ المُؤَيَّدِ. إِذ جـرى

حَـسـنـاءُ مـا وَقَـفَـت لِغَـيـرِ مُـمَلَّأً حُـسـنـاً وَلا زارَت سِـوى مَلِكِ الوَرى

عَـلَوِيَّةٌ نَـشَـأَت بِـأَكنـافِ الحِـمـى أَغنـي الحَـطيمَ وَزَمزَماً وَالمَحجَرا

وَرَبَت بِطـيـبَـةَ فَـاِسـتَطـابَ حَـديثُها كُـلٌّ وَقَـد بَـهَـرَ العُـقـولَ وَحَـيَّـرا

بَـرَزَت فَـطـابَ بِـهـا النَـسـيـبُ عَقيلَةً وَأَتـى التَـخَـلُّصُ مِـن سُـعادَ كَما تَـرى

مُـسـتَـتـبِـعـاً بِـحُـلـىً تَـروقُ بِـصَدرِهـا مِن مَدحِ خَيرِ الخَلقِ مِن دونِ اِمتِرا

مَدَحَ النَبِيَّ الأُمِّيَ الرَسول المُجتَبى

شَـرَفِ الوُجودِ وَخَيرِ مَن وَطِئَ الثَرى

عَـينُ الكَمـالِ وَدَوحَـةُ الفَضلِ الَّذي مِـن نـورِهـا كُلُّ الوُجـودِ تَـنَـوَّرا

حِـبِّ الإِلَـهِ مُـحَـمَّـدِ الداعـي إِلى دارِ السَـلامِ مُـبَـشِّـراً ومُـحَـذِّرا

فَـتحِ المُـهَـيـمِـنِ أَحـمَـدَ مَن لَو أَتَت رُسـلُ الإِلَـهِ بِـنَـصـبَـةٍ جا نَـيِّـرا

وَإِذا القِـيـامَـةُ هـالَ هَـولُ قِـيامِها وَدَهـى الجَـميعُ هُناكَ خَطبٌ قَد عَـرا

لَجَـأَت لَهُ وَاِسـتَـشـفَـعَـت بِمَـقـامِهِ زُمَـرُ الوَرى فَكَفى الجَميعُ المَحشَرا

فَـهـوَ الشَـفيعُ العـاقِـبُ الماحي الَّذي أَمـلـى مَـحـاسِـنَـهُ الكِـتـابُ وَنَـشَّـرا

وَأَتـى بِـهِ التَـوراةُ وَالإِنـجـيـلُ إِذ سَـمـاهُ أَحـمَـدَ وَالرَسـولَ وَبَـشَّـرا

أنّـى لِمَـدحِـيَ أن يُـحـيـطَ بِسُـؤدَدٍ قَـد جـاءَ فـي كُـتـبِ الإِلَهِ مُـحَـرَّرا

تِـلكَ المَـفـاخِرُ قَد رَسَـت أَطوادُهـا   وَسَـمَـت عَلى السَـبعِ الطِباقِ لَهـا ذُرا

وَتَـأَيَّدَت لَمّـا دَنـا مِـن فَـوقِـهـا   وَقَـد اِنـتَـهـى لِلمُنتَهى وَحَلا السُرى

فَـهُـنـاكَ حَـيّـاهُ الجَـليـلُ وَخَـصَّهُ   بِـتَـحِـيَّةٍ وَمَـكـانَـةٍ لَن تُـقـدَّرا

وَحَـبـاهُ بِـالآيِ الَّتـي لَم يُعطَهـا   قَـبـلُ نَـبِـيّـاً أَو رَسـولاً أَظهَـرا

فَـالشَـمـسُ يَـكـبُـرُ عَن جَلِيٍّ حُسنُها وَبِـنـورِ أَحـمَـدَ قُرصُـهـا قَد نُـوِّرا

غـائي المَـدائِحُ أَن تُلِمَّ بِهِ كَمـا قَـد زارَ طَـيفُ خَيـالِ سَلمـى فـي الكَرى

يا أَكرَمَ الرُسلِ المُجارِ نَزيلُهُم   إِنّـي نَـزَلـتُ عَـلى حِـمـاكَ لَأَخـفَـرا

وَحَـطَـطـتُ رَحـلي فـي جَنابِكَ مادِحاً

ذاكَ الجَـنـابَ الأَرفَـعَ الضـافـي الذُرا

وَرَكِبـتُ فـي فَيـحِ المَديحِ قَوافِيـاً   وَالحَـصـرُ يَـلجِـمُ وَالحَـبـيـرُ تَـعَـذَّرا

فَـعَسـاكَ تَـرحَـمُ نـازِحـاً قَد نـابَهُ   ذَنـبٌ وَأَثـقَـلَ ظَـهـرَهُ وَتَـكَـثَّرا

وَسَـرى بِـهِ فـي مَنهَجِ الغَيِّ الصِبا   فَـإِذا بِـصُـبـحِ الشَيـبِ ضـاءَ وَشَـوَّرا

وَجَـرى هُـنـاكَ يَـجُـرُّ ذَيـلاً مِـثـلَهُ   نَـهـرُ المَـجَـرَّةِ فـي السَـمـا قَد نَشَّرا

فَـأَطـارَ عَـن رَبـعِ الشَـبـابِ غُـرابَهُ   فَـنَـأى وَآذَنَ بِـالـرَحـيـلِ وَأَنـذَرا

وَالزادُ إلّا زادُ حُبِّكَ لَم يَكُن   وَالنَفسُ لَم تُقلِع بِجِرنِيَ مُجبِرا

يا خَيرَ مَن أَمَّ الجُناةُ جنَابَه   فلَقوا بِهِ أَمناً وَعَيشاً أَخضَرا

مَن لي بِها تَمحو الخَطايا زَورَةٌ   أَطوي لَها البيدَ القَواءَ مُشَمِّرا

طَيَّ السجِلِّ بِيَعمَلاتٍ قَد بَرا   هُنَّ السُرى بَريَ الأَهِلَّةِ ضُمَّرا

فَأَزورَ قَبراً ضَمَّ أَكرَمَ مُرسَلٍ   وَأُمَرِّغَ الخَدَّينِ ثُمَّ مُعَفِّرا

وَأُبَلِّغ المختارَ عَن فَرعٍ لَهُ   أَزكى السَلامَ تَضَوُّعاً وَتَعَطُّرا

خَيرِ الخَلائِفِ أحمَدَ المَنصورِ مِن   حاطَ الشَريعَةَ وَاستَمَرَّ مُظَفَّرا

فَحَلا بِمَلكٍ موصَلٍ بِغَنيمَةٍ   مِلءَ المَسامِعِ ما أَجَلَّ وَأَخطَرا

عَمري لَقَد مَلَأَ الحِجازَ حَديثُهُ   وَأَتى العِرقَ مُكَوِّفاً وَمُبَصِّرا

فَهمٌ كَما ثَقَبَ الشِهابَ مُنَوِّرٌ   لِمُؤَيِّدٍ نَحَرَ العُلومَ وَبَحَّرا

ما لِلخَلائِفِ مَعهُ مِن رَفعٍ سِوى   عَضَّ الأَنامِلِ لَهفَةً وَتَحسُّرا

فَرعٌ بِحيدَرَةِ الوَصي وَرِثَ العُلا   عَنهُ وَأَورَثَ ذاكَ نَجلاً مُكبَرا

بَدرُ التَمامِ مُحَمَّدُ المَأمونُ مَن   أَمِنَت بِهِ العَليا وَزادَت مَفخَرا

الشَيخُ شَيخُ الأُمَّةِ المَشروعُ في   نَحرِ العُداةِ لَهُ سِنانٌ مُذ سَرى

وَالمُنتَضي بِيَدِ الخِلافَةِ مُرهَفاً   عَضباً يَروقُكَ حِدَّةً وَتَحيُّرا

وَزَرُ البَـريئَةِ عائِدُ الصِلَةِ الَّذي   رَبَـطَـت بِـهِ أَزرَ العَـلاءِ وَاِحتَرا

أَيـنَ الحَـيا مِن راحَتَيهِ إِذا حَبا   وَالراسِيـاتُ إِن اِحـتَبى وَتَصَدَّرا

فَـرعٌ سَـقـاهُ الأَصلُ مَحضَ وِصالِهِ   فَـعَـلا وَأَورَقَ بِـالوَقـارِ وَأَثـمَـرا

وَسَـيَـقـتَفي ذاكَ الكَمالَ مُشاكِلاً   وَلَقَـد حَـكـاهُ تَـيَـقُّظاً وَتَـدَبُّـرا

دامَت بِـهِ عَيـنُ الإِمـامِ قَـريرَةً   مـا دامَ نَـجمٌ في السَماءِ مُقَرَّرا

مَغنى الزَمانِ زَفَفتُها لِمَقامِكُم   حَسـنـاءَ قَد نَـظَـمَت مَديحَكَ جَوهَرا

طَـرَقَـت بِـهِ رَوضَ الرَبـيـعِ فَلَفَّها   سِـحـراً وَحَـيّاهـا النَـسيمُ وَأَنشَرا

فَـأَتَت بِهِ تَسعى عَلى قَدَمِ الحَيا   وَتَـجُـرُّ ذَيـلاً مِن ثَـنـاكَ مُـعَـطَّـرا

تَبغي رِضاكَ فَإِن فيهِ لَها العُلا   وَالحليَ وَالمِسكَ الذَكي وَالعَنبَرا

لا زِلتَ بِـالروحِ الأَمـينِ مُؤَيَّداً   وَبِـنَـجلِكَ الشَـيـخِ الهُمامِ مُؤَزَّرا

أَو تَفتَحا مَعمورَ الأَرضِ وَتُجرِيا   مِن عَـدلِكُم فـي كُلِّ نـادٍ كَوثَـرا

أَيا عالِمَ العِلمِ يا ناشِرَه وَحـامِـلَ رايَـتِـهِ الظـافِـرَه

وَقاضي القُضاةِ الَّذي فاخرَت بِـهِ الشَـرقُ مَغرِبَنا الظاهِـرَه

وَنـاظِمَ عِقدِ المَعاني الَّتي جَـرَت دونَـها المُثُلُ السائِرَه

وَأَزرَت بِفِعلِ الطُلّى بِالنُهى كَذا بِشَذا الرَوضَةِ الزاهِـرَه

وَظَـلَّت تُـرَدِّدُ حُسـنَ الثَنـا ءِ تَرويـهِ عَن نَفسِكَ الطاهِـرَه

وَأَحـلاقِـكَ الغُـرِّ لَمّـا قَصَدتَ عَنِ النَـزرِ بِالدُرَرِ الفاخِرَه

وَأَيقَظتَ عَمداً عُيونَ البَيانِ مِـن كُـلِّ فَـتّـانَـةٍ سـاحِـرَه

تُشيـرُ بِمَعنـىً لَطيفٍ إِلى مَـحـاسِـنِ أَخـلاقِـكَ البـاهِـرَه

وَتُثبِـتُ سِـحـرَ البَـلاغَةِ في مَـهـارِقَ ظَـلَّت لَكُـم شـاكِـرَه

رُوَيـدَكَ نَـبَّهتَ سِربَ المَعاني بُـعَيـدَ الكَرى فَاهتَدَت حاضِرَه

وَأَغـرَيـتَ كَـم بَليـغٍ بِهـا حَديـدِ الذَكا نافِذِ الباصِرَه

يُطَـبِّقُ مِنـهـا المَفاصِلَ غَي رَ هَـيّـابَـةٍ ذي قُوى قـاهِـرَه

تَـصَـرَّفَـت أَقـلامُـهُ بِـالكَـلا مِ كَالريحِ بِالمُزنَةِ الماطِرَه

وَلَولا المَـضـاءُ بِـلا نَـبوَةٍ لَشَـبَّهـتُـهـا بِالظُبى الباتِرَه

فَــلِلَـهِ دَرُّكَ مِــن مــاجِـدٍ مَـحـاسِـنُـهُ جَـمَّـةٌ وافِـرَه

وَمِن سَيِّدٍ جامِعٍ لِلذَكا ءِ حُلوِ الشَمائِلِ وَالنادِرَه

يـا مَـليكاً مُلكُهُ فيمَن مَلَك   كَطُلوعِ الفَجرِ مِن بَعدِ الحَلَك

ثُمَّ هَذا القَصرُ فَاِسكُنهُ عَلى حُسـنِ حـالٍ بِدوامِ المُلكِ لَك

لِلَه مِنـهـا دُرَّةٌ قَـد بَـدَت   فـي غـايَـةِ الإِحكامِ وِالاِحتِفال

نُسـخَـةٌ مَـن فـاقَ الوَرى هِـمَّةً   وَخَـصَّهُ اللَهُ بِـإِرثِ المَـعـال

وَاِكتَسَبَ المَـأثورُ فَخراً بِهِ   وَأَلبَـسَ الرُواةَ بُـردَ الجَـمـال

لِلمَلِكِ المَنصورِ مُحيي الهُدى   اِبـنِ رَسـولِ اللَهِ وَفـرِ الكَمال

جـادَت بِها الأَيامُ في طالِعٍ   أَفادَ عَينَ الذينِ أَوفى اِكتِحال

مَـتـى تَـشَـأ تـاريـخَ إِنـحـافِهِ   بِـالمُلكِ قُل آلُ النَبِيِّ خَيرُ آل

بـابٌ أَتـى كَبَـرا عَـةِ اِسـتِهلالِ   وَكَأَنَّما القَصرُ القَصيدُ التالي

وَلِذاكَ سُمِّيَ بِالبَديعِ وَجاءَ بِالت   تَـجـنـيـسِ وَالإِغـراقِ وَالإِيـغالِ

وَأَتـى التَـمامُ فَقُلتُ في تاريخِهِ   بَـيـتـاً بِـلا عَـقـدٍ وَلا إِشـكـالِ

صَرحٌ عَلى تَقوى مِنَ اللَهِ اِنبَنى   فـي طـالِعٍ لِلسَـعـدِ وَالإِقـبـالِ

هَـكَـذا هَـكَذا تَكون المَـعـالي   مُـسنَـدات عَلى الظُّبـى وَالعَوالي

وَكَذا تُـعـطـي الفَـتـحَ أَوَّلَ شَـيءٍ   حـركـاتُ المَنـصـورِ وَفقَ اِقتِبـالِ

هَل يُرامُ المَنصورُ بِاللَهِ مَن قَد   بَـطَـلَت مـعـهُ حـيـلَةُ الأَبـطـالِ

مَـن أَبـادَ العِـدى وَطَـهَّرَ مِنـهُـم   في الجنوبِ البِقاعَ أَو في الشَمالِ

فَاسـأَلِ الرُكنَ والمخـازنَ عَنهُ   إِذ جَـلا الخَـطـبَ عِندَ ضَنك المَجالِ

أَيُعـانـي عَـزيـمَـةَ المَلِك الشَـه   مِ سِـوى نِـكسٍ أجـهَـلِ الجُـهّـالِ

أَو يُدانـي عَـرينَهُ الأَشِـبَ المَح   مِـيَّ إِلّا مُـعَـرَّضـٌ لِلوَبـالِ

فَلَو أَنَّ السِماكَ ذا الرُمحِ ناوا   هُ لِأَمسـى عَن رُمحِـهِ في اِعتِزالِ

أَو نَوى النَسرُ طائراً عَنهُ مَنحى   لَغَـدا واقِـعـاً لَهُ فـي حِـبـالِ

ضَـلَّ مَـن ظَـنَّ أَنَّهُ مِـنـهُ نـاجٍ   فـي فَـضـا بَـعدَ حَربِهِ أَو تِلالِ

وَلَو أَنَّ القَـطـا أَعـارَتهُ ريشـاً   أَو أَقَـلَّـتـهُ أَرجُـلُ الأَوعـالِ

أُثـكِـلَت أُمُّ الثـائِرِ المُتَدَلّي   بِـغُـرورٍ لِحَـربِـهِ أَو مَـلالِ

لَم يَقُم حَتّى أَقعَدَتهُ رِماحٌ   لِلرِضى الشَيخِ اللَيثِ طَودِ المَعالي

غَـرَّهُ بَـرقٌ خُلَّبٌ قَـد أَشـارَت   فـي جَـهـامٍ بِـهِ نَـوى الإِمـحـالِ

مِـن بُـعـاةٍ تَـسـاقَطـوا كَفَـراشٍ   فَـوقَ نـارٍ لِلحَـربِ ذات اِشـتِعـالِ

أوقَدوهـا فَـأطفَـأَتهـا دِمـاهُم   مِـن سُـيوفٍ لِلشَـيخِ سُـمرٍ طَـوالِ

غادَرَتهُم وَهُم عَلى التُربِ صَرعى بِـعَـراءٍ مُـستَوحِشِ الرَبـعِ خـالِ

يَعبَثُ الطَيرُ فيهِم وَالسيدُ وَال   أُسـدُ بِـأَشـلائِهِـم وَبِـالأَوصـالِ

وَقَضـى بِـالشَـقـا الإِلَـهُ عَـلَيهِم   وَبِـنَـصـرِ المَـأمـونِ أَفضَـلِ والِ

عُمدَةِ الأَمرِ عائِدِ الصِلَةِ المَر   فـوعِ الابـتِـدا وَفـي كُلِّ حـالِ

قَـمَرُ التِمِّ مَن أَتـاهُ كَمـالٌ   قَبلَ عَشـرٍ أَو قَبـلَ الاِستِهلالِ

فَـأَتـانـا الزَمـانُ مِنـهُ بِفَـردٍ   مُـتَـغـالٍ فـي فَـضـلِـهِ مُـتَعـالِ

فَلَعَـمـري لَو كـانَ بَعضُ سَنـاهُ   لِهِـلالٍ لَانـفَـكَّ نَـقصُ الهِـلالِ

ذو وَقـارٍ يَسـبـي النُهى وَثَباتٍ   دونَـهُ القُطبُ أَو رَواسي الجِبالِ

حازَ رُشدَ الرَشيدِ في هَديِ مَأمو نٍ وَعَليـا عَلِيِّ الوَصِـيِّ المِفضالِ

يـا رَعـى اللَهُ مِنـهُ أَيَّ هُـمـامٍ   قَد أَذاقَ الهُـمومَ حِـزبَ الضَـلالِ

وَحَـمـى بِـالـبـيضِ وَسُمرِ العَوالي   حَـوزَةَ المُلكِ مِن أَذى كُلِّ قـالِ

وَكَفـى أَو كَفَـت يَداهُ خُطوباً   هـائِلاتٍ تَـمـوجُ بِـالأَهـوالِ

فَـأَرانـا شِـفـا العَليـلِ بِفَتحٍ   نِعمَ فَتحُ المَولى العَلِيِّ الجَلالِ

قَد حَبـا المَـأمونَ بِهِ وَأَتانا   مُـعـلِمـاً بِـالشِفـاءِ وَالإِكمـالِ

جـالِبـاً لِلإِمـامِ جَيـشَ سُـرورٍ   قَد تَلا الفَتحَ في بَديعِ احتِفالِ

سَلَبَ العيـدَ حُسنَهُ وَتَبَدّى غر   رَةً لِلزَمـــانِ ذات جَـــمـــالِ

فَهَنيئاً لَكُم إِمامَ الهُدى ما   مَـنـحَ اللَهُ مِن جَزيلِ النَوالِ

ذاكَ فَتحٌ قَد جَلَّ قَدراً وَأَعيا   وَصـفُـهُ مِـقوَلي وَفِكري وَبالي

رَشـتُـمونـي سَهماً وَتَبَلَّتُموني   فَـارتِـياشي مِن عِندِكُم وِانتِبالي

وَبِكُم قَد رُضتُ الصَعابَ وَلانَت   لي القَوافي المُمكِناتُ الحَوالي

دُمـتَ بِـالمَـأمونِ حُسامِكَ تَحمي   بَيضَةَ الدينِ وَالعِدا في اختِلالِ

وَأَدامَ المَولى لِمُلكِكَ نَصراً   لا يُرى في الدُنيا لَهُ غَيرُ تالِ

ثُمَّ لا زِلتَ بِـالمَسَـرَّةِ تَجني   ثَـمَـرَ المُشتَهي بِكَفِّ الكَمالِ

أَيَسلو فُؤادي عَن سُلَيمى وَعِندَما

جَرى ذِكرُها سالَت دُموعي عَندَما

تُريكَ بِها ماءَ العَقيقِ مَحاجِراً   إِذا اِستُسقِيَت آماقُها أَمطَرَت دَما

عَلى عَهدِها أَوقَفتُ عِقيانَها الَّذي   مُنَضَّدُهُ مِن ذَوبِ قَلبي تَجَسَّما

سَقَت لي خَدّي مِن فُؤادي وَهَكَذا

دُموعُ المُحِبِّ الصَبِّ إِن هُوَ أَجرَما

وَقَفتُ بِها أَشكو البِعادَ غُدَيَّةً   وَأَنشُدُ قَلباً ظَلَّ في الحُبِّ مُغرَما

وَأَسأَلُ عَن رَكب الحِمى هَل تَحَمَّلوا وَعَنَ حَيِّ سَلمى أَينَ سارَ وَيَمَّما

وَهَل نَزَلَت أَظعانُها الخيفَ مِن مِنىً

وَحَطّوا عَلى حِجرِ الحَطيمِ وَزَمزَما

فَيَطلُعُ قُرصُ الشَمسِ مِن تَحتِ دُجنَةٍ يَـمـيـدُ بِـهـا أُمـلودُ بـانٍ مُقَـوَّمُ

غَـزالٌ عَـلـى الإِقدامِ جَرَّأَهُ النَوى بِـقَـلـبٍ جَـريءٍ لِلهَـوى فيـهِ يُعـلَمُ

يَـصـولُ فيُـردي الضِـدَّ وَهـوَ مُـصَـمِّمٌ وَتَثنـي المَها مِنهُ العَنانَ فَيُحجِمُ

إِمـامٌ عَلـى كُلِّ الكَمالِ قَدِ احتَوى فَـلا فَـضـلَ إِلّا وَهـوَ فيـهِ مُـتَـمِّمُ

لَئِن شَـغَـفَ الآرامَ حُـبّاً فَقَـد سَبى فُؤادَ المَعالي وَهوَ في الغَيبِ مُكتَمُ

وَشـاقَ ذا بِـكـرَ الخِـلافَـةِ فَـارتَمَت عَـلَـيـهِ جِـهـاراً وَالمَـعـاطِسُ رُغَّمُ

فَـعـانَـقَـهـا بَـينَ الصَـوارِمِ وَالقَنا وَكـانَـت شُـهـوداً وَالصَـدّاقُ التَـقَـدُّمُ

وَحَلّى لَهـا جيـداً وَسـاقـاً وَمِعصَماً بِـنَـصـرٍ عَـزيـزٍ يَـزدَهـيـهـا وَيَـعـصِـمُ

تَـخَـطَّـتـ إِلَيـهِ الخـاطِـبينَ وَلَم تَكُن لِـتَـعـدِلَ بِـالمَـنـصـورِ وَاللَهُ يَـعـلَمُ

وَلَو لَم يَـصِـلهـا لَاسـتَـمَـرَّت مُشيحَةً عَنِ العيرِ أَو تَفنى الدُنى وَهـيَ أَيِّمُ

فَلِم لا تَجُـرُّ الذَيلَ فَخـراً وَقَد سَمَت بِـهِ حَيـثُ لَم تَـسـمُ شُـمـوسٌ وَأَنـجَـمُ

أَلَيـسَ هُـوَ المَنصورُ مَن وَطَّدَ العُلا

وَذَبَّ عَـنِ الإِسـلامِ وَالخَـطـبُ مُـظـلِمُ

وَمَـهَـدَّـهُ بِـالهُـنـدُوانـي وَالقَـنـا وَمـا أَسَّـسَ الرَأيُ السَـديـدُ المـحـكَّمُ

أَلَيـسَ الَّذي حـاطَ البَـرِيَّةَ وَاغتَدى

بِـهِ الديـنُ مَـرصـوصَ المَـبـاني مُفَخَّمُ

وَثَلَّلَ عَـرشَ الكُـفـرِ عِـنـدَ اِعتِدائِهِ وَغـادَرَهُ بِـالبـيـضِ وَهـوَ مُـصَـرَّمُ

فَـدانَـت لَهُ صيـدُ المُلوكِ وَأَصبَـحَـت

مَـماليـكُ تُـمـضـي كُـلَّ مـا هُـوَ يَـلزَمُ

وَطـاعَ لَهُ الدَهـرُ الكَؤودُ وَأَجـمَـعَـت عَلَيـهِ السُـعودُ تَـنـتَـحيـهِ وَتَـخـدُمُ

فَـشَـيَّدَ مـا شـاءَ العَـلاءُ وَلَم يَـدَع مِـنَ المَـجـدِ طُـرّاً مـا يَـفـوتُ وَيُبهَمُ

وَأَحيـا رُسـومـاً لِلقُلوبِ قَـدِ اِحـتَـوى عَلَيـها العَفا فَهِيَ بِهِ اليَومَ تَنعَمُ

وقـامَ بِـهـا يُـجلي حَـلاهـا مُـطَـبِّقـاً مَـفـاصِـلَهـا وَالفَـهـمُ فـي ذاكَ صَـيلَمُ

يَـبـيـتُ عَلَـيـهـا سـاهِـرُ العَـيـنِ كالِئاً   لِسُـلطـانِـهِ فـي الـرَأيِ يَـسـدي وَيُلحِمُ

خَـبـيـرٌ بِـمـا تَـحوي الدَفاتِرُ مُحبِرٌ   وَلَكِـنَّهُ مُـغـرىً بِـذَلِكَ مُـغـرَمُ

عَـليمٌ بِـأَسـرارِ الدِيانَـةِ عـامِـلٌ   وَقـوفٌ عَـلى حَـدِّ الشَـريعَـةِ قَـيِّمُ

إِمـامٌ لَهُ إِرثُ النُـبُـوءَةِ وَالهُـدى   دُوَيـنَ المُـلوكِ إِنَّ ذاكَ مُـسَـلَّمُ

سَـليـلُ رَسـولِ اللَهِ وَالمَـحـتَـدِ الَّذي تَـقَـرُّ لَهُ بِـالفَـضـلِ عُـربٌ وَأَعـجُـمُ

فَـمُـذ ظَفِـرَ الإِسـلامُ مِـنـهُ بِـصـارِمٍ

تَـيَـقَّـنَ أَنَّ الشِـركَ لا شَـكَّ مُـقـصَـمُ

كَمـا أَنَّـي مُنـذُ اِتَّصَلتُ بِـهِ سَمَت بِيَ الحالُ وَاِنثالَ الغِنى حَيثُ تَعلَمُ

وَأَصبَحتُ أُكنى ثُمَّ لَولاهُ لَاِغتَنى سَمِيِّي كَذا عِندَ النِداءِ يُرَخَّمُ

وَلَو لَم أَفُز بِالسَبقِ مِنهُ لَما اِعتَرَت عُيونُ المَعاني فِكرَتي حينَ أَنظِمُ

وَلا ساغَ لي صَوغُ القَوافي أَرومُها فَتاتي سَريعاً وَفقَ ما أَتَحَكَّمُ

وَلا طاعَ لي حُرُّ الكَلامِ يزينُهُ مَديحُ الإِمامِ حَيثُما أَتَكَلَّمُ

وَلا اِنقادَ لي جَيشٌ لُهامٌ أَقودُهُ فَيَتبَعُني في خَلفِ وَهوَ عَرَمرَمُ

وَلَكَنَّهُ صُنعٌ لَهُ الشُكرُ فيهِ لا إِلَيَّ فَإِنّي عَن نُهاهُ مُعَلَّمُ

وَما الشِعرُ إِلا جَوهَرٌ لا تَنالُهُ مِنَ أَبحُرِهِ ذاتِ الأَعارِضِ عُوَّمُ

وَلَو نيلَ بِالأَيدي لَهانَ وَلَاِستَوى بَليغٌ يُجيدُ القَولَ فيهِ وَمُفحِمُ

وَلَكِن بَغَوصِ الفِكرِ بَعدَ اِرتِياضِهِ زَماناً بِآدابٍ تُعينُ وَتُفهِمُ

لَقَد رُضتُهُ إِلى أَنِ اِنقادَ وَاِغتَدى يُسَلِّمُ لي فيهِ حَبيبٌ وَمُسلِمُ

وَها أَنا ذا قَد جِئتُ فيهِ بِمِدحَةٍ فَإِن قَصَّرَت فَالأَمرُ مِن ذاكَ أَعظَمُ

وَإِن صادَفَت قَصدَ الإِمامِ فَإِنَّهُ مَرامي وَالأَمرَ الَّذي كُنتُ أَرأَمُ

فَخُذها أَميرَ المُؤمِنينَ عَقيلَةً تَرومُ رِضاكُم فَهوَ لِلفَوزِ سُلَّمُ

مُحَبَّرَةً تَروي أَحاديثَ مَجدِكُمُ فَتَطرَبُ عَنها النَفسُ إِذ تترنَّمُ

مُـحَـلَأَةً بِـالمَـدحِ مَـدحِـكَ قَـد ضَـفـى عَـلَـيـهـا يَـمـانٍ مِـن ثَـنـائِـكَ مُـعلَمُ

نُـدِبـتُ لَـهـا مِـن بَـعـدِ أَن زِنـتُ صَـدرَهـا بِـأَربَـعَـةٍ تَـعـلـو عَـلـى مَـن يُـتَـمِّمُ

فَـجـاءَت بِـوَجـهِ الـمـدحِ غُـرَّةَ أَدهَـمٍ وَتِـلـكَ تَـجـرُّ الـذَيـلَ زَهـواً وَتَفخَمُ

تَـهـنـيـكَ بِـالـزَورِ الَّـذي نِـلـتَ أَجـرَهُ وَيَـعـقُـبُـهُ بِـالـلَـهِ فَـتـحٌ مُـعَـمَّمُ

وَيُـمـنٌ وَإِقـبـالٌ وَجَـدٌّ مُـجَـدَّدٌ وَنَـصـرٌ وَتَـمـكـيـنٌ مُـبـيـنٌ وَمَـغـنَـمُ

بَـقـيـتُـم بَـقـاءَ الـنَـيِّـرَيـنِ وَمُـلـكُـكُـم مَـدى الـدَهـرِ بِـالـنَـصـرِ الـعـزيـزِ وَيُـخـدَمُ

وَلا عَـدِمَـت مِـنـكَ الـخِـلافَـةُ نـاصِـراً فَـأَنـتَ لَـهـا دونَ الأَنـامِ الـمُـقَـدَّمُ

وَيُـعـجِـبُـهُ مِـنـهـا الـجَـمـالُ فَـيَـعـتَـدي عَـلَـيـهـا وَتُـمـضـي حُـكـمَـهُ وَتُـسَـلِّمُ

وَيُـشـرِعُ رُمـحـاً مِـن قِـوامٍ وَيَـنـتَـضـي ظُـبـىً مِـن جُـفـونٍ فـي الـنُـهـى تَـتَـحَـكَّمُ

وَيُـقـدِمُ تـيـهـاً وَهـوَ بِـالـحُـسـنِ صـائِـلٌ فَـيَـبـهَـرُ مِـن ذاكَ الأُسـودَ فَـتُـحـجِـمُ

وَتُـشـفِـقُ مَـع ذا أَن تُـرى وَمَـكـانُـهُ مِـنَ الـقَـلـبِ مُـسـتَـولٍ عَـلـيـهِ الـتَـأَلُّمُ

الحُسـنُ لَفظٌ وَهَذا القَصرُ مَعناهُ يـا مـا أُمَيـلِحَ مَرآهُ وَأَسناهُ

فَـهـوَ البَديعُ الَّذي راقَت بَدائِعُهُ   وَطـابَـقَ اِسمٌ لَهُ فيها مُسَمّاهُ

صرحٌ أُقيمَت عَلى التَقوى دَعائِمُهُ وَدَلَّ مِنهُ عَلى التاريخِ مَعناهُ

وَلاحَ أَيضـاً وَعَيـنُ الحِفظِ تَكلَؤُهُ   تاريخُهُ مِن تَمامٍ قُل هُوَ اللَهُ

المصادر:

شعر أبي الحسن علي بن منصور الشياظمي : جمع وتحقيق: د. نجاة المريني – الشعر المغربي في عصر المنصور السعدي (الملحق) مطبعة النجاح الجديدة، الدارالبيضاء 1998

مصادر لم أقف عليها :

مسرح روح السحر ومطرح شبح الشعر/ أبي الحسن علي بن منصور الشيظمي: الخزانة الملكية بالرباط: 1553